المعسكرين وقع الجميع في فخ الخلط بين الواقع الفردي داخل المجتمع والواقع المنظم لحركة المجتمع ككل.

وشتان هو الفارق بين التزام يلزم به الفرد نفسه والزام يرى المجموع أنه قد وقع على عاتقه.

الوقوع في هذا الفخ الموحد – الخلط بين واقع الفرد من حيث الخلق والنسك وواقع الجماعة السياسي– كان له رد فعل (يناسب موقعك من أحد المعسكرين).. مزيد من التحفز وإعداد العدة لوقف ذلك المد.. ومن الجانب المقابل بدأ الاستعداد لإقامة الأفراح..أفراح التمكين للإسلام والتخلص من الواقع الأليم.

(من تتبع الصيد غفل)

وهكذا وُلدت الكارثة وكانت الصدمة.. إنه الزلزال الذي لم يكتفِ بتدمير البناء المادي، بل تراه ينال من أسس القناعات ويحطم الآمال.

نشوة الحلم دفعت مراكز الثقل للحركة الإسلامية العربية بالوسط والمشرق و المغرب لمحاولة التوثب، توثب

كانت أرضيته واقع غير مدرك القرار إلى فضاء غير مستوعب المآل، هكذا كانت الكبوة، وما أقساه من شعور أن يستيقظ الإنسان من حلمه اللذيذ فيجد نفسه محبوس تحت حطام زلزال.

لكن الأشد قسوة من ذلك الزلزال هو رد الفعل العشوائي الذي حول النكبة إلى كارثة، هكذا سميت التراجعات مراجعات وخرج الشذاذ من الجحور ليعلنوها جلية: لا خلاف بين النظم السياسية الغربية الكافرة وصحيح دين الإسلام!! .. وظهر فقه جديد للتعامل إذا لم تقدر عليهم فانضم إليهم .. وفقه التملص من الشرع المسمى فقه المهجر صار هو الأصل.. ووصم المتمسك بثوابت القرآن والسنة بالجمود. . وصار لي النصوص استنارة واقعية ...الخ، وزايدت تلك الأصوات النشاز على منهج الفرقة الناجية التي لا يزال صوتها أبدا بفضل الله.

حال نرجو ألا تصدق عليها الحكمة القائلة: إن الساقط أثناء صعود الجبل لا يتوقف إلا عند السفح.

عقدي أم مادي

كيف حدث هذا وهل له سبب مفهوم، وهل السبب شرعي أم موضوعي؟

لم نُنْصَر هل لأننا لم ننصر الله حقاً؟ فإن الوعد لا يُخلف: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد: ٧].

أم إن ذلك من جراء ذنوبنا:

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

أم أن ذلك لحكمة:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٦]، ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝١٤٠﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ...﴾

[آل عمران: ١٧٩]

أم أن الأمر متعلق فقط بشيء موضوعي من تلك الأشياء التي لا يقر بغيرها من لا يؤمن بالوحي؟

أم أن الأمر متعلق بمجموع هذه الأمور وبنسب تختلف باختلاف الأحوال والشخوص؟ كما يذهب كاتب هذه السطور، وإن كان بمفهوم آخر يرى أن الأمر شرعي محض، ببساطة الشرع يأمر بالأخذ بكل الأسباب الموضوعية الممكنة ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٠] فمن فرط في الموضوعي فهو بنص الوحي مخالف للشرع: (قال رجل للنبي ﷺ: أرسل ناقتي وأتوكل؟ قال: «**اعقلها وتوكل**» (قال الزين العراقي رواه ابن خزيمة والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري بإسناد جيد بلفظ قيدها وتوكل وبه يتقوى).

ومن خالف الشرع بالتفريط في السبب فأصابه الضرر حُمِّل فوقه الإثم وبهذا قد جاء الشرع: «من بات على ظهر بيت ليس عليه حجاب فقد برئت منه الذمة». (خد) عن علي بن شيبان. (صحيح) ٦١١٣ صحيح الجامع.

وبعد أن أشرنا لمنهجنا في التعامل مع جدلية الشرعي

والموضوعي[١] نعود لتحليل ظاهرة انتكاس المشروع الإسلامي بالرغم من ذلك المد الذي لم يتوقف اندفاعه من جماهير غفيرة من البشر (مسلمين وغير مسلمين) نحو الإسلام[٢].

ها نحن نعود لتحليل هذه الظاهرة التي غررت بالكثيرين من أفراد المعسكرين المتنافرين، نقوم بذلك على طريقة المثال والاستفهام.

كيف تولد الكهرباء؟

البشر يولدون الكهرباء من مصادر شتى كالطاقة المائية أو التفاعلات الذرية، فهل لو كنت تملك كمية كبيرة من اليورانيوم أو العديد من المساقط المائية .. هل يعني ذلك أنك تحصلت على الكهرباء؟ بالطبع لا .. فأنت لا تملك أكثر من الفرصة، فرص لا أكثر ولا أقل.

---

(١) (الموضوعي) مصطلح حادث يراد به الحقائق الملموسة من غير الغيبيات التي يستخدمون لها مصطلح (الميتافيزيقا)، أما عند المسلمون فدائرة تمحيص الحقائق تشملهما.

(٢) الإسلام هو الذين الأكثر انتشاراً في الولايات المتحدة الأمريكية. هذا ما صرح به الرئيس الأمريكي السابق كلينتون، وهذه ظاهرة عالمية لا تختص بها أمريكا فقط.

OBEIKAN.COM

فإذا لم تجد وسيلة لتحويل ما تملك إلى ما تطمح أضعت الفرصة وهذا هو أفضل الاحتمالات وإلافالعطش الذي يقنع بالسراب ليس له مصير إلا الهلاك.

إن العلاقة بين توجه أفراد المجتمع نحو الالتزام بالإسلام باعتباره مسئولية فردية وبين أن يكون ذلك المجتمع مجتمعاً إسلامياً هي علاقة لزوم وليست علاقة تلازم بمعنى أن الوصول لتلك الحالة ﴿ **حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وأن تصبح كلمة الله هي العليا.. تلك الغاية التي تتم بالامتثال للرسل و تحقيق الأيمان بالكتاب ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ..** ﴾ [البقرة: ٢١٣].

تلك الغاية يلزم لها بديهةً ذلك المسلم الملتزم بالواجبات الفردية لدينه.. لكن وجود ذلك الفرد لا يعني الوصول لتلك الغاية هكذا تلقائياً.

أسلفنا فيما سبق أن تحويل ما تملك إلى ما تطمح يستحيل إلا بوسيلة.. فما هي الوسيلة التي يتحول بها الالتزام الفردي إلى تمكين جماعي، وتحت أي باب من أبواب العلوم والفنون يقع؟.

السيمياء أم السياسة الشرعية ؟

الالتزام الجماعي للبشر باختيارات مسبقة وطريقة عمل محددة نحو غاية مستهدفة يدخل في نطاق أحد العلوم التي مارس الإنسان فنها منذ قديم الأزل . . إنه نطاق السياسة .

وإن كان اختيار الجماعة هو الإسلام وغايتها العليا أن تكون كلمة الله هي العليا بأن تجعل الدين كله لله، وكان مسلكها منضبطاً بالقرآن والسنة وسيرة من أُمرنا باتباع سنتهم) . . . **«فإنه من يعش منكم بعدي فسيري اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ . . .»** (حم د ت هـ ك عن العرباض بن سارية، ٢٥٤٩ صحيح الجامع)

إن تم هذا تحول هذا المصطلح الوضعي ذو الإيحاءات الوضيعة (السياسة) إلى مصطلح شريف سام (السياسة الشرعية) .

رمتني بدائها وانسلت

وهنا لابد من وقفة قصيرة لتحرير هذا المصطلح من قسمة الغبش التي تلحق به، حين نقسم الجماعات إلى

نوعين جماعات سياسية وأخرى تحرم العمل السياسي، والعمل السياسي يقصدون به هنا المشاركة في الانتخابات البرلمانية[١] فمن شارك فهو السياسي ومن حرم المشاركة فهو غير سياسي.

إن مثل هذه القسمة لعمر الحق محض تلبيس.

محاولة كيان جماعي للتأثير على كيان آخر هو في حقيقته سياسة، وضبط أفراد جماعة محددة بنوع ما من أنواع الضبط الجماعي هو سياسة، حتى لو كانت تلك الجماعة تُحَرِّم ذلك اللفظ (الجماعة) فضلاً عن تحريم (السياسة).

شعور أي مجموعة من البشر بتميز الذاتية (نحن وهم) وبأن لهم توجه عام واجب وبأن لهم ملزم مطاع، يعني ببساطة أنهم يمارسون السياسة، حتى لو كان من ضمن هذا التوجه العام تجريم نوع من أعمال العمل السياسي، إذن الحركات الداعية للممارسة والكيانات المعارضة لها كلهم يمارس السياسة بشقيها الداخلي والخارجي.

---

(١) هذا هو عنوان فخ يعد لنا الآن بمنتهى المكر ومن الحماقة أن تظن أن الحداة ستلقي لك بالكتاكيت، ولعانا نفرد للتحذير من اعتماد سياسة التنازلات للحصول على أوفر نصيب من الطعم الديموقراطي.

نعم قد تكون الممارسة بدائية أو عشوائية، بالفعل أو بالكف، بوعي أو بجهل، لكن مثل هذا الجهل لا يخرج أحد من تحت طائلة المحاسبة الشرعية التي تحكم مثل هذه الممارسات وما ينتج عنها من مآلات.

العلم أم العشوائية

الصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا يتحدثون العربية، فلما دبت العجمة إلى اللسان جاءت الروايات عن الخليفة الراشد علي رضي الله عنه بتكليف أبي الأسود الدؤلي لوضع قواعد ضابطة وهكذا ولد علم جديد.

ولما دبت الفتنة صار ابن عباس يدقق في الرواية تدقيقاً كان مآله وضع علم المصطلح.

وهكذا كلما ضعفت الملكة وهزلت الممارسة أو ظهرت حاجة أظهر المسلمون في المقابل علماً يضبط الخلل، هكذا ظهر علم الأصول والعروض والبلاغة والفقه.. الخ.

فما أحوجنا الآن لإحياء علم السياسة الشرعية، عسانا أن نجد سبيلاً للاعتبار من أخطاء الماضي ونجد لغة موحدة نتبادل بها النصح في الحاضر وسبيلاً للتخطيط وتوسم المستقبل.

وقد يقول قائل ولماذا نعقد الأمور ونخالف المألوف

فالأمر أبسط من ذلك، إنه يحتاج فقط لمزيد من الفهم والعزم .. نفهم الواقع بكل دقائقه وفي ضوء الإمكانات نحدد ما هو مستطاع .. هكذا نصل للقرار المحقق للمصلحة.

وعلى أصحاب التوجهات الشرعية ضبط هذه العملية بالشرع، أما أصحاب التوجهات البراجماتية النفعية فالضابط الوحيد عندهم هو ذات المصلحة الموضوعية[١].

إدراك الواقع

ولكن كيف تتم هذه العمليات: فهم الواقع، تحديد الإمكانات، تحديد الوجهة الكلية التي نُقَدِّر ما يمكن قطعه من الطريق إليها؟.

هذا هو كبد المعضلة التي تعاني منها الحركات الإسلامية، تلك الحركات الموزعة على المحطات القائمة على طول الخط الواصل بين طرفي النقيض (الشرع / الميكافيللية).

وقد يظن البعض أن هذه الأمور يسيرة، ففهم الواقع على سبيل المثال يتم من خلال تتبع القنوات الفضائية والصحف العالمية والشبكة العنكبوتية والدراسات المنشورة

(١) المصلحة تبيح كاف أشكال التنازل من أجل الوصول، هذه هي فلسفتهم (في سبيل الإسلام يُضحى بكل شيء ولو كان دعائم الإسلام!).

أو المعدة المطلوبة وقد يضيف البعض شرطاً أرقى.. إنه الاحتكاك المباشر الذي يكسب خبرة ميدانية ويسمح بملاقاة كل عليم ببواطن الأمور.

هنا تكمن المعضلة الحقيقية، المعضلة هنا ليست في الوصول لفهم الواقع بمثل هذه الطريقة، إنما المعضلة هي ذات الواقع المدرك بالاقتصار على مثل هذه التقنية.

إن هذا الإدراك الذي يتم بهذه الطريقة هو إدراك ملتبس يروج فيه الزيف، فتختلط فيه التصريحات بالتمويهات، ومسافة ما بينهما قد تكون أبعد مما يفصل المشرق عن المغرب.

وتختلط فيه الأوهام بالممكنات فلا تجد حتى مقدار حد الشعرة يفصل بينهما، إدراك زائف لا تصطدم فيه الأماني بالوقائع إلا بعد فوات الأوان حيث يستحيل التراجع ونُجْبَر على دفع فواتير الخسائر.

إن عدم قدرتنا على إدراك الواقع هو أحد الأسباب الرئيسية لفقد القدرة على اتخاذ القرار الرشيد وعلينا أن نتحمل النتائج[١].

(١) تحالف ١٩٥٢، أحداث سبتمبر ١٩٨١، انتكاسات فترة التسعينات هنا

الميزان والقرار

إن فهم الواقع لا يتم بجمع مفرداته لتكوين صورة كلية أو صورة تفصيلية .. إنما يكون ذلك بإخضاع مثل هذه الصور لميزان القياس والتقويم ثم التعديل حتى يتم تناغم مجمل الصورة مع مفرداتها على هيئة مجردة واضحة.

إن تحديد الوزن أو المسافة أو المكيال لا يتم بمجرد إحضار الموزون أو المقيس أو المكيل وإنما بإخضاع هذه الأشياء لمقياس وميزان ومكيال ... وبدون ذلك لا تستطيع اتخاذ قرار (اعتبار الشراء فرصة أو البيع خسارة، أو باستمرار المساومة أو بالبحث عن مخزن أكبر أو شراء مواسير أطول) .. الخ.

هذا بالنسبة لقرار مادي بسيط، فما بالنا لو كان القرار يتعلق بمصير بشر .. وما بالنا لو كانت العملية معقدة تتم تحت ضغوط من الترهيب والترغيب مع وجود الكثير من المشاركين خصوماً وحلفاء وخاملين .. مع الطبيعة الديناميكية لتفاعل قوى الواقع، واقتناص الفرص عملية قد

وهناك، انتخابات الجزائر، إعادة احتلال الشيشان، سقوط إمارة طالبان .. الخ.

يضيعها التعجل أو التمهل.

إنه أمر بدهي لابد أن يتفق عليه أصحاب الاتجاه الشرعي والاتجاه البرجماتي إن غياب المقياس والميزان يعني غياب أول مقومات القرار الرشيد(١).

فما ذاك المقياس الضابط (الميزان) الذي به تتم عملية تقويم الواقع (الوصول لطبيعته وحقائقه المجردة عن الأوهام مع تحديد الأوزان والحجوم والاتجاهات)، بل وبه يستطيع الحاذق توسم المآلات، وأن نجد به علامات للتعامل الرشيد؟

أصحاب المنهج الماركسي يجيبون بمجموعة من الضلالات تنتهي بحتميات، والفلاسفة يجيبون بخليط من الهذيان، وغالبية البشر يضبطون الواقع في أذهانهم بالعواطف الذاتية وخليط من الآمال والمخاوف.

أما نحن فنذهب لنجيب على هذا السؤال إلى المصدر الذي فصل فيه كل شيء: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)**﴾ [يوسف: ١١١]،

(١) إدراك الواقع هذه العملية الصعبة المعقدة هي في الواقع أسهل خطوات اتخاذ القرار!

﴿ ... وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ [الإسراء: ١٢]، هذا المصدر الخالد يأمر بالسير في دروب الأرض من أجل الاعتبار: ﴿ ... فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ [الحشر: ٢]، ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [النور: ٣٤]، ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٩].

فالكل يجري وفق سنن: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) ﴾ [آل عمران: ١٣٧-١٣٨].

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً (٤٣) أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً (٤٤) ﴾ [فاطر: ٤٣-٤٤].

وهكذا نجد الإجابة جاهزة تسبق سؤالنا بمئات السنين وتسبق آخر ما وصل له أصحاب المنهج العلمي التجريبي (الاختباري) وتتفوق عليه ببيان نوعية أخرى من القواعد

(السنن والنواميس) – وإن رفضها كل أصحاب المناهج الأرضية – إنها السنن الشرعية ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً (٧٧) ﴾ [الإسراء: ٧٧]. إنها السنن الشرعية .. إنها صورة شاملة كاملة تفسر وتتنبأ بالوقائع، يغفل عنها من غفل ويجد بعضها من جدَّ وبحث: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧) قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (٣٨) ﴾ [الأنفال: ٣٦-٣٨].

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) ﴾ [آل عمران: ١٣٧-١٤٠].

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ

وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

منظومة السنن والنواميس

من تاريخ من سبقنا نتعلم، التاريخ تُفهم أحداثه باعتبارها نتائج ولدتها مقدمات بإذن الله.

إنها قواعد تُفسر لنا تماثل الأحداث حيناً وتغيرها أحياناً .. إنها السنن الكونية (الموضوعية) التي يتعلق بها عقل الكافر لنيل المجد .. والسنن الشرعية التي يعقل بها أهل السنة والجماعة الأحداث ويستنزلون بها النصر والتوفيق ويرون أن منها الفرض الشرعي باستخدام السنن الكونية.

وهكذا يخالف أهل السنة والجماعة الدراويش من الصوفية ومن أدعياء السلفية الذي يسلخون الكوني عن الشرعي ويخالفون أيضاً الميكافيليين من المسلمين الذين يعتمدون على السنن الكونية ويضحون بالشرعية.

على درب الهدى نسير

وتأمل هذا التكامل في السيرة النبوية وسيرة من أمرنا باتباع سننهم «... **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين**

الراشدين تمسكوا بهاوعضوا عليها بالنواجذ ..»[١].

تأمل .. يتجلى لك هذا المفهوم، تأمل .. تراه سبيكة واحدة، تأمل .. ثم دع عنك سيرة الدراويش والنفعيين الذين ينطبق عليهم وصف الشعبي: تلك فتنة لم نكن فيها أتقياء بررة ولا أقوياء فجرة. وبناء عليه فيجب علينا أن نبحث عن هذه السنن في قرآننا الخالد وتاريخنا الماضي وأن نأتم بالصالحين ممن سبقنا في إيجاد سبل العمل الرشيد، وإلا فليس لمن يعرض عن هذا المنهج حق في قيادة الأمة، بل يحرم عليه قيادة من وثق به نحو النية، فمن تطبب بغير علم فهو ضامن[٢]، وإنما شفاء العي السؤال[٣].

السياسة الشرعية

ها نحن قد وصلنا إلى نهاية المقدمة التي نراها ضرورية لبيان غرضنا من هذه الورقات المسماة (أنعيد التاريخ نفسه؟) والذي يدور حول محورين:

الأول: هو تجلية ذلك الإنجاز الضخم لصلاح الدين

---

(١) حم د ت هـ ك، عن العرباض بن سارية، ٢٥٤٩ صحيح الجامع.

(٢) «**من تطبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن**». [حسن] (د ن هـ ك) عن ابن عمرو، ٦١٥٣ صحيح الجامع.

(٣) «**قتلوه قتلهم الله ألم يكن شفاء العي السؤال**». [صحيح] (حم د ك) عن ابن عباس، ٤٣٦٣ صحيح الجامع.

OBEIKAN.COM

الأيوبي حين استطاع تحويل الشراذم إلى تجمع يحقق إنتصار غاب قرابة القرن.

المحور الثاني: وتراه مبثوثاً في ثنايا عرض المحور الأول – هو التعرض لمفهوم [السياسة الشرعية]، مع بيان طبيعة العلاقة بين الشرع وعملية تعديل الواقع من منظور إعتبار السنن النواميس وموازين القوة، باعتبار أن ذلك هو مفهوم الأساس لذلك العلم.

وحسبي مجرد المحاولة، فإن وجدت أخي القارئ في الورق شيئًا ذا قيمة فلا تبخل على نفسك بدعوة مستجابة يكن لنا فيها نصيب(١)، وإن كانت الأخرى فعليك بدعاء المصيبة عسى أن يمن الله علينا(٢) بمن يزيح التراب عن كنزنا المطمور.

د. بسام الزرقا

dbassam333@yahoo.com

dbassam333@hotmail.com

---

(١) «دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك: آمين ولك بمثل ذلك». [صحيح] (حم م هـ) عن أبي الدرداء، ٣٣٨٠ صحيح الجامع.

(٢) «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبته وأخلف الله له خيراً منها» [صحيح] (م هـ) عن أم سلمة (حم) عن أم سلمة عن أبي سلمة، ٥٧٦٤ في صحيح الجامع.